محاضرات مقياس المقاربات الكمية والكيفية

سنة أولى ماستر الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة

المحاضرة الثانية: خصائص البحوث الكيفية

لعل أهم ما يميز منهج البحث الكيفي هو جدلية الأصالة، أصالة في الاقتراب من المبحوث، وأخرى من الواقع، وتعني الأصالة أن الباحث يفهم الموضوع في بناه الخاصة وفي خصوصيته، وهناك البنية، أو إقامة بناء، وتعني فهم الحدث، أو الميدان من منظور نظري، وعام ومقارن، وأهم خصائص تصميم البحث الكيفي هي:

- **الانفتاح:** إذا كانت عملية البحث الكمي مقننة ومحددة، فإن عملية البحث الكيفي تكون مفتوحة، المناهج الكمية مغلقة، وتتحكم خطوات البحث فيها بعقل الباحث، أما البحوث الكيفية فتعتبر البحث **مجالا وأفقا مفتوحا** أمام الباحث والمبحوث **للتعديل والتطوير**، كما أن مبدأ الانفتاح يتضمن على الصعيدين النظري والمنهجي، **مجموعة من النتائج أهمها:**

1-التأكيد على الوظيفة الاستكشافية للبحث الاجتماعي الكيفي.

2-التخلي عن تكوين الفرضيات مسبقا.

3-إن البحث الكيفي يركز على البحث الميداني الاستطلاعي، وهذا ما يهمله البحث الكمي غالبا.

إن البحث الاجتماعي هو بحث اكتشافي استكشافي إلى حد ما، اكتشاف ووصف ميدان الدراسة يكون على حساب الدراسة النظرية للموضوع، وأن تعديل الفرضيات يكون بناء على البيانات التي تم الحصول عليها في عملية البحث الميداني، وعليه فإن النظريات والظواهر الاجتماعية والأنثروبولوجية لها طابع دينامي، ذلك أنها تتطور في أثناء عملية البحث على أساس البيانات القائمة.

- **البحث بوصفه متفاعلا:** إذا كانت مناهج البحث الكمي تؤكد على المسافة بين الباحث والمبحوث في عملية البحث، فإن المناهج الكيفية بخلاف ذلك تؤكد على أن عملية البحث ينبغي أن تكون **عملية تفاعلية** بين الباحث وبين الأفراد الذين ينتمون إلى مجتمع البحث الخاص بالدراسة.
- **الطابع الديناميكي بين البحث والموضوع:** إن البحث الكيفي عبارة عن **عملية تفاعل واتصال** بين الباحث والمبحوث، وهذا معناه أن العلاقة بين البحث والموضوع دينامية، أي أن هذه الدينامية هي ما تميز البحث وموضوع البحث.

- **التأمل النقدي للموضوع والتحليل:** يتميز البحث الاجتماعي الكيفي **بالتفكير النقدي** بالموضوع، أو **تأمل** موضوع البحث وعملية البحث، إن مبدأ التأمل بالنسبة إلى موضوع التحليل، أي الظواهر والعمليات التي ينبغي دراستها، يقوم على التصور النظري لمجال الموضوع ذاته.
- **التفسير:** يعني مبدأ التفسير أن نتوقع من الباحث بيان الخطوات المختلفة لعملية البحث بقدر الإمكان، وتتحدد أيضا القواعد التي ينبغي بموجبها تفسير البيانات التي تم الحصول عليها ميدانيا، ويتعين على الباحث الكيفي **تفسير بياناته** بشكل أفضل، وألا يقع فريسة للتكميم والترميز، كما هو الحال في البحث الكمي، فالبحث الكيفي فكري وعقلي ميداني.
- **المرونة:** في البحث الكمي، يكون ميدان البحث معروفا ومحددا، لذلك لا وجود للانفتاح والمرونة، أما بالنسبة إلى الباحث الكيفي فإنه يتعين عليه أن **يطور ويحدد** عملية البحث، بحيث إن مهمته تتمثل في أنه يوجه البحث للحصول على البيانات والتفسيرات من الحياة الاجتماعية الامبريقية، فالبحث يبقى متجذرا فيها.

وأخيرا، إن هدف البحث الكيفي يكمن في **كيفية** طرح المشكلة وعرضها و**الحصول** على البيانات المطلوبة، إضافة إلى **الكشف** عن معاني العلاقات القائمة في إطار الظواهر الاجتماعية، وأثر هذه العلاقات على الأداء الاجتماعي.

بالتوفيق للجميع